القمر خلف الجبل

قصة بقلم مطاع صفدي

ملسوعة الظهر ، تقف ملتصقة بكتفيها الى الباب . ان عينيه ما زالتا تنهشان لحمها . وعندما ودعته ، لم يقبض على يدها بقوة ، ولم يحبس اصابعها الصغيرة طي راحته زمنا طويلا . ولكنها عندما تركته احست ان نظرة من عينيه تلتحم بظهرها . ولقد صعدت درج البناية . وقرعت الجرس ،وولجت الردهة،واخترقت نطاق الاشياء القليلة المبعثرة هنا وهناك.. ونطاق نظرة اخرى وهي هذه المرة نظرة ام يسبق حنانها سؤالها .وبلغت اخيرا حجرتها .. هذا الفراغ الاسمر الدافيء .. اطبقت الباب لتلتصق به بعنف محموم . واستندت اليه ملسوعة الظهر !.

وانطلقت انامله تتداخل خلال شعرها . وبحثت عن وجهها في المرآة المقابلة لها ، قبل ان تضغط على زر النور . وتحت اشعاع قبس يشح من اطراف النافذتين رأت شبح ملامح .. تكاد تكون ملامحه هو .. اكثر من الف قبلة وهمسة ولفحة سعير خلقت تعابير وجهها مرة ثانية ... فماذا تبقى لها ، وماذا تملك منها ؟ لقد اعاد خلقها .. وهي لهذا تسأل من هي،وكيف هي، ولماذا لا تستطيع ان تعي اكثر من زمن واحد تكثف في الساعة السابعة ... ومن عطفة شارع ، حيث يقف الاتوبيس ، وتهرع هي الى المنعطف ، وترنو سريعا الى الشرفة ... الكرسي موجود ، فهو اذن خلف الباب . وما عليها هي الا ان تندفع ، دون ان ترى من حولها وما حولها .. بهذه الاندفاعة تعدم كل الموجودات في طريقها .. وتضغط مرتين على الجرس .. وتقذف بنفسها الى هوة ذلك الصمت الرهيب .

وتندلع لسعة اللهيب بين كتفيها .. يده تندس تحت قميصها،وتتلمس فقرات ظهرها .. تتراوح بين كتفيها ، تستقر عند رقبتها .. انه يحب ظهرها .

ومنذ ثلاثة ايام تنتفض حياتها بين عقرب الساعة وهو يمحو الوقت ببطء وحشي نحو الساعة السابعة ، وبين كرسي على الشرفة ، ولسعة على الظهر ، فقرة ففقرة ، وفكرة عن الخطيئة لا حد لجبروتها ولسلها ..

***

الليلة الاولى

كان ذلك عندما دعتها صديقتها (دعد) الى نزهة في سيارة ابن خالتها فلقد زعق بوق السيارة فجأة تحت الشرفة الكبيرة . وكانت الصديقتان تقضيان فيها فترة المغيب واطلت (دعد). وسمعت (اميرة) جدلا مرحا منطلقا بين صديقتها ومن دعته ابن خالتها ...

ـ لا استطيع ... عندي صديقتي ..

ـ هذا افضل ... من يرفض نعمتين بدل نعمة ...

ـ اخشى الا تسطيع سيارتك نقلنا ..

ـ عندئذ انقلكم انا ... فلتنزلي اذن انت وصديقتك .. لا وقت نضيعه هيا !

وعندما فتح باب السيارة الخلفي امام اميرة لمحت شابا آخر يجلس في الزاوية المقابلة. واما دعد فقد اخذت مكانها الى جانب ابن خالتها الذي كان يسوق السيارة ... وهو كانما يداعب بين يديه هرة اليفة مقلمة المخالب .

وفي الوقت الذي استغرق من في المقعد الامامي من السيارة في ذلك الذهول الفاتح ، الذي تنزلق وراءه احلام مسافرين يشقون طريقا متجددا دائما من منظر الى آخر ، كان الاثنان الغريبان يلتقيان لاول مرة من زاويتين في هذا العالم المتحرك .. على مقعد خلفي من سيارة . كانت هي لصق نافذتها ، لا تجسر ان تحول ابصارها عن برق الانوار التي تتلامع وتتلاشى من جانب الطريق ، الى داخل هذا الجوف المظلل ... وفيه انسان ، يلفحها مجهوله وهو قابع في الزاوية المقابلة لها ، لصق النافذة الاخرى. ربما كان يتحسسها بطريقة سرية دبقة ، ينزلق خلالها انيمها بحركة سحرية اثيرية . وكان لا بد ان تجري بضع كلمات من فم ، كأنه غور سحيق ، الى اذن ،كأنها تستمع الى رنين الفاظ لاول مرة .

واخذ يلقي عليها اسئلة مقتضبة ، بصوت منخفض . وتجد نفسها وقد اطلقت اجوبة مباشرة بذات البساطة التي تنساب فيها اسئلته .

ـ أانت صديقة دعد ؟

ـ نعم .. منذ عام تقريبا . بيتي قريب من بيتها ، اقضي وقتا طويلا عندها ..

ـ أتدرسين ؟ لعلك طالبة جامعية ...

ـ كلا .. لقد تركت الدراسة منذ ..

ـ منذ ماذا ؟

ـ تركتها قبل الكفاءة ..

ـ ولماذا .؟.

ـ تزوجت ..

ـ كم كان سنك حينئذ ؟

ـ الرابعة عشرة ..

انه يرى جانب وجهها . ولها عطر غريب الرائحة يموج الحس المرهف في جوف السيارة ما زالت تجيبه وهي تنظر الى امام .وعنق اهيف يصل الجذع ، بالرأس ، وقد عقص شعرها على طريقة التماثيل اليونانية القديمة ولكنه ما كان له ان يتبين ملامحها تماما ، كانت شبه شبح . وكذلك كان هو بالنسبة لها شبحا ، فيما لو اطلقت عيونها تتفحص هيئته .. ومع هذا فقد ايقن كل منهما انه يجابه نقطة فاصلة في حياته .

وآمن هو انه تلقاء آية من جمال وآية من سر مظلل ، يشبه صوتها المظلل دائما ، رغم كلماته القليلة في تلك الاجوبة المبتسرة ، بالعمق الذي يصدر عنه وبين آن وآخر كان يمكن لجدار الصمت الذي تواضع ركاب السيارة ان يقيموه بين مقعد امامي ومقعد خلفي ، ان يتمزق ، وان تتشابك احاديث الجميع دفعة واحدة . ولكن يبقى مع ذلك ، لكل حديث يبدأ به هو معنى خاص ، وكذلك يبقى لكل حرف تلفظه عمقه الخاص.. الموحي ، المثير .. كرمزين ، كل غيب لرمز يحيا بغيب الاخر .

خرجت السيارة بهم الى ضواحي دمشق . اخترقت وادي الربوة فدمر فالهامة . تشبعت برطوبة الوادي الناعمة . ثم اندفع الى نوافذ السيارة هواء الافق .. واشعة الفجر في الصحراء .. فلقد انفرج الوادي ، واتسع العالم فجأة . وفي مكان مناسب هدأ المحرك ، ثم توقف . ونزل الركاب الاربعة .. اربعة غرباء الى الارض اليابسة ... تلقاء افق ازرق معتم ..

وفي قلب فضاء مشفف بنور القمر .

طلع طولها الفارع امامه . ولمع لحم الاديم لقدمين تنتعلان خفا صيفيا زحافا بلون .. ربما كان اصفر ... يتجهون جميعا نحو الارض البكر ، فوق احجار وكوم رمال مجمدة مجمدة ... وينحرفان معا . ومرة واحدة امسك بيدها . لم تكن اميرة تحلم . وانها لمهمومة بواقع هذه اللحظات ، كأنها تحمل تبعة الارض كلها عند خالقها .

واستمر يلقي عليها الاسئلة. كان يود ان يعرف عنها كل شيء منذ ميلادها ... حتى هذه الساعة . وشعرت هي بلذة رائعة في ان تطيعه ، ان تستجيب لحركته وهو يبتعد بها ، وان تعطيه يدها ، وان تجيبه عن كل شيء ، برنة من يعترف ، او من يلقي بذنب عمر كامل على عاتق انسان قوي انبثق فجأة في صمت شبابها الوادع .

ـ اتكونين راهبة ... وانا اشبه بالذئب يتلصلص على صلواتك من خلال شقوق ديرك ؟ انك تعرفين الضحك يا اميرة .. فلقد استجبت لكل نكتة القاها سائقنا هذه الليلة .. ومع هذا فقد كنت احس بان عضلة واحدة في وجهك هي التي تجعل شفاهك تنفرج عن ضحكة .

ـ لا تقل انني متألمة .. انا اكره ان يقال عني الحزن والالم ..

ـ هذا حسن .. ولكن لماذا يبدو اننا لا نتفاهم تماما .. رغم هذه الثقة المتبادلة ؟ ثمة كهف تطلين منه علي يا اميرة ...

ـ اتطمح اذن في ان تمتلكني دفعة واحدة .. وفي ساعة من الزمن ؟..

ـ ... انا اود فقط ان نبدأ معا شيئا جديدا .. شيئا حقيقيا ...

ـ علي كل حال لست انا وهما يا صديقي ..

ـ عندما سنتعارف اكثر لا بد ان تؤمني ان كل ما عدا هذا التعارف ليس الا عدما ... كانه لم يكن على الاطلاق ..

والتقيا بالآخرين . وهنا وجهت دعد كلامها اليه ..

ـ لا تبتعد بها هكذا .. كان ينبغي ان اعلمك بان صديقتي .. رغم انها مطلقة منذ سنوات .. فهي لم تستجب لرجل .. مهما كانت ميزاته.. انها تزوجت مرة .. ولكنها لم تزل عذراء .. عذراء الروح والجسد ..

واتبعت كلامها ذاك بضحكة قوية .. بريئة . فاجابها وهو يدفع بالجماعة نحو السيارة ..

ـ وفي كل الاحوال.. فلقد فارقت مرحلة الاحلام من عمرها ..

***

الليلة الثانية

هبت ريح ، اشد عصفا من سابقاتها ، مما جعل اشجار الصفصاف النحيلة المتشابكة الاغصان في الروضة المجاورة ، تتأزم انغامها في ذروة من الحفيف المقرور . فقامت اميرة واتجهت صوب النافذة الاخيرة التي بقيت مفتوحة المصراعين الخشبيين .. تضربهما الريح . ومكثت برهة تطل منها على الروضة .. وماء بردى الاخضر خلالها وهو في تموجه الصامت ، وهو في تلامح انوار النجوم على صفائحه المنزلقة على بلورها اللون السيال .

ودارت اميرة على عقبها ، واصبحت هكذا على نصف مسافة من النافذة ... ومن بصيص سيجارته ، وهو مستلق على سرير . وكان جو الغرفة ما زال عميق الظل .

واميرة تمهلت هناك ، على نصف المسافة تلك .

وفي تلك اللحظة ، انسفح من وراء قمة الجبل ، من اعلى قبة الروضة ، فوق كثيف الصفصاف ، وقبالة المرآة المتموجة من انسياب المياه الخضراء ... انسفح نور لبدر هرم ، جاوز اكثر من نصف القوس المحدد بساعات حياته . وبث اشعته ، هذا العطر الفضي بلا رائحة ، في فضاء الغرفة وانسابت الاشعة خلال جسدها ... وعندئذ لم يبق لملاءة النوم ثمة وجود ... فقد اصبحت اشبه بالهباب الاثيري المغلف ، دون غلاف ، لقامة انثوية، ضفيرة من لهب مرصوص ...

وهمت ان تتابع خطوتين او اكثر لتصل حيثما قامت منذ قليل . ولكن القدم الحافية ، بدون خف صيفي اصفر ، تعثرت بشيء ، احدث صوتا عنيفا بالنسبة لهذا السكون الموسيقي ، كفاصلة طويلة في صميم نغم موجود . وحنت فوقه ، وامسكت به .. كان شيئا يجاور شيئا آخر ... رمت به يد عابثة كيفما اتفق . كانت زجاجة فارغة ، وكان كتابا له غلاف مجلد قاس .

ونقلت الشيئين الى منضدة كبيرة . فدارت مرة اخرى على عقبيها لتعود . لمحت امامها بصيص السيجارة وقد حال لونه اكثر .. من تأثير بدور القمر .

وبلغت حافة السرير . واستلقت على ظهرها الى جانبه .

بدأت هذه الليلة .. عندما وقفت سيارته بمحاذاة الرصيف الذي كانت تتمشى فوقه على مهل في الشارع ، الذي تواعدا على اللقاء فيه سرا ، خلال نزهة امس الطويلة الحافلة .

ولقد فتح لها باب السيارة ، ودخلت هي دون ان ترفع اليه نظرة ، دون ان تقول كلمة ، وجلست لصق النافذة .. بينهما ذات المسافة السابقة . وانطلقت السيارة ، بهذا الازيز الفاتح ، عبر شوارع المدينة الكثيفة بالانوار والحركة والناس ..

تلك الشوارع التي احست اميرة انها بعيدة جدا عنها ، انها تلمس حديد السيارة من خارج .. وهناك تتبختر . ولكن رطوبة الوادي ، ما لبثت ان دغدغت جبينها وانفها واطراف خدودها .

ودخلت بيتا ريفيا .. مرقت بارضه الرطبة ، ومن خلال صفصافه المنعقد صفين حول درب ضيق .. ثم ولجت ردهة ، ومنها الى غرفة . واشعل رفيقها مصباحا زيتيا . واخذها بين يديه . وعراها عن ثيابها قطعة فقطعة .

وكان القمر ما زال خلف الجبل .

وفجأة انهار الصمت والرمز والمجهول الحلو الذي غلف كل شيء في هذه الغرفة الضائعة من خارطة الوجود . فلقد زعقت اميرة بصرخة مرعبة جعلت رفيقها يقبض على خصرها اكثر ويضمها الى جذعه بقوة شيطانية خارقة .

كانت في الرابعة عشرة ، عندما استقبلت امها عجوزا تحت عباءة سوداء ... تتلفظ حروفا غريبة . وقالت لها امها بعد ذهاب العجوز انهم سيذهبون جميعا الى الصحراء .. افما احببت الصحراء دائما ؟ اما كنت تحلمين بامريء القيس ، بحي من الخيم ، ولهب عظيم في مركزه ؟ اما تغزلت بشعراء الصعاليك ، الم يصفع خيالك ابدا ديك الجن وهو يقتل عشيقته ليجعل من رميمها قدحا يشرب بها الخمر ويرثيها؟ اما احببت العرب .. اجدادك عمالقة الصحراء .. حديث مدرسة العربي المتحمسة .

وجاءت بها سيارة كاديلك ضخمة عبرت الرمال .. تركتها امها في احدى المحطات المقفرة . وبكت اميرة لاول مرة في مغامرتها تلك . ودخلت جثة كبيرة متجانسة التقاطيع بين رأس يغرق تحت عقال غليظ اسود ورقبة مكورة الشحم وكرش عظيم .. وجثمت على المقعد ، ففاضت عليها سيالة من اللحم .. وانطلقت الفاظ معوجة مجلجلة ، بينما امتدت من الجثة استطالة قبضت على خصرها ...

وفي بيت عظيم من (تدمر) قبعت اميرة عدة ساعات تنتظر الليل . وفتح الباب وتحركت الجثة نحوها . امسكت بيدها ... اخذتها الى صالة غلقت على جدرانها خشبات مثبتة فيها اسطوانات سوداء معدنية ..

وقالت الجثة « انها بنادقي » ثم ذهبت بها الى صندوق حديدي وجلجلت الجثة : « انه ذهبي ... » واطلت بها الجثة من نافذة خلفية على ارض واسعة غطيت بالخيم : « انهم عبيدي ! »

وعادت بها الى الغرفة الكبيرة : « وانت منذ الليلة زوجتي .. »

وامتدت الاستطالة ثانية تحمل اليها كؤوسا بيضاء : « حليب » واخترقها لسان النار من حلقومها مع كل كأس جديدة . وبينما كانت مستلقية على ظهرها ، كان الجبل .. اجل الجبل المحيط بدمشق .. الذي يخفي خلفه القمر ، يجثم كله فوقها .. ومن خلال دوار مريع ، كان كل شيء في جسدها من لحم وعظم يتهشم ويتمزق وتسيح دماؤه ...

وتمتمت اميرة من خلال صدر رفيقها :

ـ كنت اعلم انني ساصيح مرة اخرى عندما يجذبني رجل اليه ... لقد افترسني ، وظل يملأ جوفي بالعرق ... وفي نهار اليوم التالي دفع الي بسجائر .. عرفت فيما بعد انها مملوءة حشيشا .. فقد صرح لي انه من بضاعته .. كان من امراء العشائر .. لا تخف يا صديقي.. لم ازل محتفظة بوعيي .. بعد يومين انطلقت هاربة على درب السيارات بين تدمر وحمص .. وحيدة في الصحراء .. ذاك هو رعبي .. فلن تكون انت رعبا آخر .. العالم لا يتسع لكل هذا ...

***

الليلة الثالثة

هرم البدر اكثر . يأخذ بزوغه ، وعندما اطل ، كان شحوبه كئيبا مرتعشا . ولكن الفرفة ، هذا الفراغ الاسمر ، ما زالت تطل على نهر بردى .. قبل ان ينقسم على ذاته الى انهر سبعة . انه اخضر لدن ، عميق ، يتدفق بين اشجار الصفصاف ، وترنو اليه اميرة من نافذة الحجرة الصامتة : وقالت اميرة ووجهها الى النهر :

ـ لماذا تأتي بي الى هنا ؟.. ثمة كثيرات يعشن في زوايا هذه الحجرة.. لا تجب، انا لا اغار . الم تقل عني انني جاوزت مرحلة الحلم من عمري ... حسنا ، ولكنني اقول لك ان مرحلة الحلم كلها لا يعرفها درب حياتي ، لقد افترسني الواقع في الرابعة عشرة من سني .. اتذكر هذا ؟.. واما انت فلست نقيضي على كل حال .. وما كانت بك حاجة لان تثرثر .. لان تتحدث عن نفسك .. عن حياتك .. ما كانت بك حاجة لان تقول احبك .. او انت جميلة ..

واشعل رفيقها سيجارة اخرى من بصيص سيجارة متفانية ، وتنحنح.. وهو في ابتلقائه الكثيف ... هناك ... على السرير كانه لن يقوم منه ابدا .

ـ كان ينبغي الا تطيعيني .. الا تأتي معي ابدا .. ان اقصى ما اخشاه هو ان يكون لي ثمة رفيق .. رفيق دائم .. اما شعرت مرة انك تودين لو تكونين الوحيدة ابدا ؟. ما كان اخطر تلك اللحظة .. عندما خرجت من البوابة ... واتجهت مع دعد نحو السيارة .. كان عليك ان تقطعي دربا طويلة حتى تصلي من البوابة فالرصيف .. فعرض الشارع .. الى الرصيف المقابل حيث تقف السيارة .. واجثم انا في جزء منها .. كنت تمشين ، كما لو انك تؤمنين حقا انك تملكين كل قطعة في جسدك ... كانك تدركين روعة جمالك .. ومع ذلك فلقد بهتّ عندما بهتّ بك . اما كنت دائما تتغذين من النظرات المصعوقة بك .. الجائعة لك اينما سرت ؟..

ـ كانت عيناك باردتين .. لقد دهشت بي ، ولكنك اخذت تمضغني بعقلك .. كنت تسأل : من انا ، وليس : كيف انا ؟

ـ ربما .. ولكن ادركت انك لست جسدك الغني فقط ، لست هذا العنق الصاعد برخامه الى اعلى .. لست هذه التسريحة الالهية .. لست الا هذا الرنو .. ليس نحو شيء ما .. ولكنه هدوء من يملك حقيقة صغيرة في هذا الوجود ... وكنت انتظر ان المس لحمك حتى اعلم هذه الحقيقة ... انك لا تبحثين عن الحلم ابدا ..

ـ رغم انك انت حلم .. طريقتك في النظر الي . رموز كلماتك ... طريقتك في جلبي الى هنا ... وهذا البيت المخفي بين شطآن الصفصاف ... وشهوتك .. لقد اعدت الي انوثتي ..

ـ صراخك كان بداية اليس كذلك .. انهيت رعبك الاول ، تلك الحقيقة التي بذرت بذرة الوعي في وجودك الانثوي التائه ..

ـ نعم انا اعي انني تائهة .. فهل هذا ما يجعلني امتاز عندك بشيء...

ـ ولهذا فانني اكافح هذا الحب .. حبي لك .. قدمك الصغيرة في خفها الاصفر ...

ـ لا تكن شاعرا !..

ـ كلا .. فما انا الا عبد واقع ..

ـ هذا صراخ شعراء ...

واندفع اليها بحركة هوجاء. قبض عليها . همزها .. وصاح :

ـ يجب ان ترفضيني يا اميرة . انا لا اطلب أن اضحي او ان تضحي انت .. لا اقول هذا لان احدنا احقر من الاخر ، وينبغي عليه ان ينتهي قبل ان تصيب لعنته الاخر .. لا اقول هذا رعاية لقيم في اخلاق الناس. ولكن اقسى ما اواجهه في قصتي معك انني .. انني اعذب نفسي .. اعذب نفسي بك .. اعذبك بي .. اواه كيف افصح لك .. يجب ان تدركي بطريقة ما .. ان تفهمي .. ان حبي هو يأسي ..

تملصت من ذراعيه .. وبحثت بعينيها قليلا ، ثم تناولت علبة الدخان ، واخذت سيجارة اشعلتها من سيجارته التي وقعت من يده على ارض عارية .. دون ان ينتبه ، وبقي بصيصها ظاهرا .

واكب فجأة على قدميها العاريتين يتلمسهما بشفتيه .. اقصى ما يحب فيها خفها الصيفي الاصفر .!

وراحت يدها تداعب شعره الاسود وهو مكب على القدمين . وحنت على رأسه . كانت ترى فقط سواد شعره .. هناك تدفن هي كذلك وجهها .

ويرين على الحجرة سجو باهت ... ومن احجارها وخشب سقفها العتيق ينقط ضوء غريب اخاذ..تتشممه اميرةبكلخلية منخلايا جسدها العاري ، هي على حافة السرير ، بين ان تستجيب لشفاهه ، وبين ان ترفع رأسها ، وتدور بحواسها في الارجاء الساجية الحانية .. وبين ان تنعطف فوقه .. وهو فوق القدمين الصغيرتين ..

وينتفض قائما : ستبقين عذراء.. انك حرام على كل رجل .. فكيف بالنسبة لي ؟..

وتهمس بشغف رائع : الا انها تجربة رائعة بالنسبة لك يا حبيبي .. عذاب مروع .. سارحل .. سأرحل ، ينبغي ان ابقي لك على ثروتك هذه ...

ويصرخ ثانية وهو يتمسك بها : بل انها أفجع فقر ..! لن اكون وحشا آخر لك .. ليس حولنا صحراء ، ولن تستطيعي الهرب هذه المرة ..

وتأتي به الى النافذة قائلة وثغرها على كتفه : ليس هذا السبب .. تريد ان تمنحني طهرك ..

ـ كفى .. فلن يمكنك التفسير .. كما لن يمكنني انا ابدا ... أتعلمين ما هو الطهر حقا ؟.. اواه انه كالموت .. كل من يذهب اليه لن يعود منه .. ولن يقول لناشيئاعنه .. لقد فررت في الصحراء .. سرت وحدك في الليل ، اتعلمين لماذا ؟ ليس لانك خائفة ، ليس ذلك لانه كان يختفي وراءك وحش بدائي يتاجر بالعبيد والبنادقوالحشيش ... بل لانك غيرقادرة مطلقا على ان تعطي طهرك .. وهو ذاته ما استطاع ان يأخذ منك شيئا... اليس كذلك ... لم يأخذ .. وانا كذلك .. هانذا امامك .. ها انت بين

يدي .. اعظم جسد حلمت به اسطورة انسانية يائسة .. ابدع وجه .. يقطر جمالا وعنفا والوهية .. انك الجمال الكامل،الجمال المطعم بالروعة .. الجمال الذي حلمت به عباقرة الشعوب في موسيقى وشعر وحرب وحضارة.. انك اعظم عذاب.. ها انت قربي ، لصقي ، ولن تعطيني شيئا.

ـ لكأنك يا حبيبي اعجز من ان تحتمل ما اعطيك حقا ..

ـ كلا .. ان البكورة كالقلق ذاته ..الملا يمكن تحديده مطلقا..ان البراءة لا يمكن التخلص منها .. لا يمكنك ان تلقيها علي .. ستظلين العذراء .. ستظلين العذراء .. وانا يأسك يا حبيبتي ..

وكانت شفتاه تتمرغان بعري قدم ، لم تعد تلبس خفها ابدا .

ويتمتم من على القدم : ـ انك حقيقة يا حبيبتي .. حقيقة اكثر من اي ظاميء موتور على الارض .. ولن يقدر حب على استنزاف حقيقة ما.. وتقول له بأسى منتحر : ولماذا تجعل الحب عاجزا .. يا صديقي ، بينما قد يكون القلب هو الاعجز ؟.. او العقل الذي يريد ان يزن ما في القلب ، ان يقيس حمل قلب وسعته .. سعة لا تقاس ابدا ..

ـ انك حقيقة يا اميرة .. اتحيطين بمعنى هذه الكلمة ؟ فلقد اعجبت بك ، واردت ان اعذبك ورسمت خطة لانالك فيها ونظمت هذا الجو الشاعري فخا لك .. وفخا لبراءتي .. اتعلمين الان ما هي (الحقيقة) ؟.. واما انت فلقد اطمتني لانك حقيقة .. ومع ذلك فها انت تعجزين عن ان تعطيني ظهرك .. لقد صرخت آنذاك .. اليس كذلك .. صرخت نفس الصرخة عندما كان الوحش الذي باعتك امك له يفترسك .. والفرق انك هربت من الاول .. والآن لا تريدين ان تهربي .. اليس كذلك .؟

ـ اواه كيف تعاني حبك.. انني اشفق عليك منه .. ليتني استطيع ان اختفي من حياتك ...

ـ لن يفيدنا شيء ان يهرب واحدمن الآخر.. انك حاضرة ملء حواسي وابعادي .. وذلك هو الخلود .. خلود الاحساس بالفراغ .. وبامكان املائه دون ان يمتليء !.

تركها ورجع الى السرير يستلقي عليه في هدأته البطيئة الكثيفة المعهودة وظلت هي قرب النافذة ، تسح دموع قليلة من عيون تمتليء بمنظر النهر .. وشعاع البدر الهرم المستحم في فيهبه ..

وكانت مويجات متتابعة ، تنبثق من جوف التيار المرتص على ذاته ، وتتلامح بذبذبها القليل ثم تغيب مرة اخرى في سدرات الانحناءات التي تعترض مجرى النهر .. ويلتحم الصفصاف من الضفتين .. وبعض اشجار الجوز الكبيرة تصعد جذورها من الكثبان الترابية وتتعقد حول ذاتها كانها الف ثعبان مجمد الحركة .

هذا هو جوف الوادي .. فان الخضرة لا تكسو الا قاعة وضفتين قريبتين من القاع . واما فوق ذلك.. فيطل الصخر الهرم المستقر من الاف الحقوب وكذلك مياه القاع تسير من آلاف الحقوب . وكل ضجة على شطي الوادي لا تلبث ان يغبها سكون لا نهائي .. كسكون هذا القمر وهو ينزلق في الفضاء من فراغ الى فراغ .. يبزغ من خلف قمة .. ثم لا يلبث ان يختفي اصفر شاحبا تعبا وراء قمة اخرى

وقبل ان تنسحب فلول القمر الهرم من الحجرة، هذا الفراغ الاسمر الدافيء ، كانت ثمة حركة اخيرة فيها . فلقد تركت اميرة النافذة ودلفت بهدوء رشيق الى الجوف .

استلقت الى جانب رفيقها ، على ظهرها كذلك ، ووجهها الى آخر بزغة من القمر المنزلق الى خلف الجبل.

كان انسانان على السرير وبينهما فرجة صغيرة ، ما لبث سوادها ان امتزج بسواد الجو بعد افول القمر .

دمشق — مطاع صفدي ١٦

آخر ما صدر

عن دار الثقافة - بيروت

الذرة : ترجمة اسعد نجار

دراسة تحليلية ووافية عن الذرة

دراسة عن التجارب العديدة والنتائج التي أدتها الذرة

طبع الكتاب ثماني طبعات متوالية في اللغة الانكليزية

٣٢٠ صفحة ٢٠٠ ق.ل

الوداع الاخير : ترجمة ميشال معلولي

قصة ومغامرات ومواقع حربية كبرى

جاسوسية وغرام وحب وتضحية

فصول عن الحياة في روسيا السوفياتية

الكتاب الخامس من سلسلة كتاب الشعب

٥٠٠ صفحة ٣٠٠ ق.ل

تكوين العقل الحديث : الجزء الثاني ترجمة الدكتور جورج طعمه

٥٠٠ صفحة من المقاس الكبير ٦٠٠ ق.ل

تحت الطبع الآن

تاريخ سوريا ـ للدكتور فيليب حتي

ذهب مع الريح ـ لميتشل

على الماشي ـ مارون بك عبود

نماذج بشرية من القرون الوسطى ((لبور))

راجعوا دار الثقافة ومكتبتها

بكل ما تحتاجون اليه من عموم الكتب العربية من اي كان مصدرها واي كان نوعها تؤمنها لك .

دار الثقافة بيروت

المكاتب : عمارة الغراوي ـ ساحة رياض الصلح

المكتبة : ((الوقف الاسلامي ـ ساحة رياض الصلح

تلفون ٣٠٥٦١ ص.ب. ٥٤٣